المملكة في يوم حزنها الكبير: وداعاً ملك القلوب عبداللّه بن عبدالعزيز

◆ د.فهد بن محمد بن فهد العمار

في ليلة حزينة، ليلة الفقد والألم، ليلة الغياب الكبير، ليلة فقيد الأمة، ليلة فقيد الوطن، ليلة امتلأت فيها المآقي بالدموع، وعصر فيها الألم القلوب، وذلك عندما أعلن الديوان الملكي رحيل ملك القلوب الملك عبدالله بن عبدالعزيز رحمه الله: الملك الذي ملك قلوب شعبه، فأحبهم حبا ملأ جوانح قلبه، وسويداء فؤاده، فآثر مطالبهم، وقدم احتياجاتهم، وعدل بينهم بالقسط والعدل، فالقوي منهم ضعيف حتى يأخذ الحق منه، والضعيف منهم قوي حتى يأخذ الحق له، وسار بهم سيرة آبائه وأجداده، العقيدة الإسلامية منهجه، وشرائع الإسلام دستور حكمه؛ والخوف من الله تعالى منار سبيله.

فما أعظم قلبك سيدي أبا متعب عندما اتسع لكل فرد من أبناء شعبك الوفي، فكلهم لديك بمثابة الابن أوالأخ، بصورة أدهشت القاصي والداني، قد رسمت مع أبناء شعبك لوحة جميلة من الحب والوفاء والولاء، ونهجت منهجا فريدا في قضاء حوائجهم، والاستماع لمطالبهم، ورفض كل ما يعكر صفو حياتهم، أو يحزن قلوبهم، وكم هي المواقف التي أثبتت قربك منهم، وتعلقك بهم!! بل جعلت رحمك الله حب الشعب ورضاه ميزانا للقيادة الحكيمة، وجعلت رضى الشعب دليلا على نجاح المسؤول أيا كانت مسؤوليته، وذلك عندما كنت توصي المسؤولين عندما تكلفهم بالأعمال التي تهم المواطن الكريم.

مليكنا الغالي عبدالله بن عبدالعزيز رحلت عن هذه الدنيا بجسدك ولكنك باق في قلوب شعبك الوفي، باق بصدقك معهم، باق بحبك لهم، باق بتنفيذ متطلباتهم الخاصة والعامة، باق بسؤالك عنهم، باق بتوجيه المسؤولين بكافة قطاعات الدولة بالاهتمام بالمواطن، والحرص الشديد على راحته، وتحقيق ما يصبو إليه من تطلعات وآمال.

مليكنا الراحل قد كنت لشعبك الوفي أبا حنونا، وأخا شفيقا، وملكا عادلا، ومسؤولا كريما، التواضع طبيعتك، والعفوية سجيتك، والصدق منهجك، والطيبة مدار تعاملك، والسماحة طابع أخلاقك، ولكل هذه الأخلاق والسمات مواقف كثيرة لا مجال لتعدادها، قد حُفرت في قلوب أبناء الشعب الحبيب، يتذاكرونها في مجالسهم، ويروونها في منتدياتهم بفخر واعتزاز.

ولذا لا تسل عن الحزن الذي خيم على أبناء شعبك، وعلى وطنك الكبير عندما تأكد نبأ رحيلك المر على جميع محبيك، صغارا وكبارا، رجالا ونساء، ليلة حزينة شديدة الوقع على أفراد شعبك، فواصلوا السهر لعل نبأ ينفي ذلك الخبر الحزين!! ولكن أعلن ما أبكى عيونهم، وأحزن قلوبهم، وأقض مضاجعهم، فضجوا دعاء لمولاهم الكريم بأن يرحمك برحمته الواسعة جراء ما بذلت لأبناء شعبك، وما قدمت لوطنك، وأمتيك العربية والإسلامية، بل وللعالم أجمع.

حزن كبير ضرب أطنابه على قلب كل مواطن عاش على ثرى أرض الحرمين الشريفين، بل وعلى كل الوافدين إليها من أبناء الأمتين العربية والإسلامية حزن أظلمت بسببه سماء مملكتنا الحبيبة، واهتز كيانها، وتكدر هواؤها، فما أطول تلك الليلة على محبي ملك الإنسانية الكبير!!

وتساءل المواطنون بحسرة وحزن شديدين:

هل رحل أبو متعب ؟!!

هل ودعنا ملك الإنسانية الحبيب!!

هل فقدنا رائد التنمية والتطور!!

هل ودعنا رمز المحبة والسلام !!؟

هل فقدنا القائد الشجاع!!؟

هل ودعنا باني أعظم توسعة للحرمين الشريفين!!؟

هل فقدنا الملك الذي عزز فرص التعليم العالي والابتعاث!!؟

هل ودعنا الملك الذي كرس مبدأ الحوار في كل القضايا التي تهم المجتمع !! ؟

هل رحل قاهر الإرهاب والتشدد، وملك الوسطية والاعتدال!! بمنهاج الكتاب والسنة!؟ قالوا كل ذلك وقلوبهم الحرى تصطلي بألم الفراق!!

فعلا هل غادرنا عبدالله بن عبدالعزيز؛ ملك العفوية والتسامح، ملك المحبة والعطاء، ملك الصدق في القول والعمل، عبدالله الخير والسؤدد، والنجدة والنخوة، والأبوة الصادقة، والأخوة الحانية، ولن تبرح ذاكرة شعبك الوفي مهما تطاولت السنين، وسيكتب تاريخ هذا الوطن العزيز صفحات أعمالك بمداد من ذهب، وستعلم الأجيال اللاحقة بإذن الله من أبناء هذا الوطن الكبير عما قدمته للوطن وأبناء شعبك الوفي.

أيها الراحل العظيم وقد كنت عنصرا رئيسا في تنمية هذا الوطن منذ نعومة أظفارك في عهد والدك المؤسس الملك عبدالعزيز رحمه الله، ثم في عهود إخوانك الملوك العظام؛ فقد كنت لهم سندا وعضد وعونا في مواقع كثيرة في العمل الميداني مما يهم أبناء شعبك، فبذلت جهودا كبيرة، كانت مثار إعجابهم وثقتهم.

وعندما تسنمت دفة الحكم في مملكتنا الحبيبة كنت قطب الرحى وسيد الموقف في تسيير أعمال هذه الدولة المباركة؛ كي تحقق للوطن والمواطن ما يتطلع إليه من نماء وتطور في كافة الأصعدة؛ فبذلت قصارى جهدك، وعظيم بذلك، ووجهت المسؤولين بتقديم كل ما في وسعهم خدمة للوطن والمواطن، وأمرت بتنفيذ مشروعات ضخمة في التعليم والصحة والنقل والمواصلات والاقتصاد وغيرها الكثير مما لا يحيطه القلم في هذا المقام.

وأما الحرمان الشريفان فلهما شأن كبير في قلب عبدالله بن عبدالعزيز رحمه ربي، وغفر له، ولن تنسى الأمة جمعاء بأنك أول من قام بتوسعة المطاف الشريف توسعة لم تسبق إليها على مدار التاريخ، وهل ينسى أبناء شعبك إصرارك على الشركة المنفذة بأن تنفذه بنصف المدة المقررة!!؟

مليكنا الراحل العظيم ولن ينسى الوطن الحبيب وقفاتك الصارمة في وجه الإرهاب والإرهابيين؛ الذين يريدون زعزعة أمن هذه البلاد المباركة كيدا وظلما وعدوانا، ويتذكرون كلماتك الحازمة بأن القضاء على الإرهاب هدف في حد ذاته مهما طال الزمن؛ لأن الغلبة والنصر دوما للحق، ولو حاول الباطل بثره وحقده ونفثه أن يجابه الحق: {بَلْ نَقْذِفُ بِالْحَقِّ عَلَى الْبَاطِلِ فَيَدْمَغُهُ فَإِذَا هُوَ زَاهِقٌ}، {وَيَمْكُرُونَ وَيَمْكُرُ اللَّهُ وَاللَّهُ خَيْرُ الْمَاكِرِينَ}.

يوم رحيل قائدنا العظيم الملك عبدالله بن عبدالعزيز رحمه الله ليس شديدا وأليما على أبناء هذا الوطن فحسب، بل لقد ضج العالم كله من هول الفاجعة، فكل جاء يقدم تعازيه، ويرسل مواساته، ويعرب عن ألمه لهذا المصاب الجلل، على مستوى الرؤساء والملوك، وأقطاب الحكم والسياسة في العالم؛ لأنهم يعرفون سلفا من هو الفقيد: بثاقب رأيه، وحصافة فكره، ونافذ بصيرته، وحكمة أقواله وأفعاله، ويدل دلالة قاطعة على عظمة هذا الوطن الكبير قيادة وحكومة وشعبا.

وبإذن الله سيستمر فيض ربنا الكريم على مملكتنا الغالية، وسيتحقق ما يصبو إليه قادتها من نصر وعز وتمكين لهذا الوطن الحبيب وقادته وشعبه الوفي.

وها هو خادم الحرمين الشريفين الملك سلمان بن عبدالعزيز يتسلم الراية من أخيه وهو يحمل في قلبه حب هذا الوطن، الملك الذي تعددت مواهبه، وعظمت خبرته، وطغت محبته؛ الملك الذي اعتلى صهوة المجد منذ نعومة أظفاره، وهبه مولاه صفات عز أن تجتمع في رجل، وندر أن تكتمل في شخصية أحد، هو الدهاء، والسياسة، والعبقرية، هو الملك الذي صقلت مواهبه في مدرسة الملك المؤسس رحمه الله، وتكرست واشتد ساعدها في عهود إخوانه الملوك اللاحقين من بعده عليهم رحمات الله المتتابعة، فما أن يكلف بأمر يهم الوطن، أو مهمة تخص المواطن حتى يثب إليها باذلا كل ما يستطيع من نفس ونفيس حتى يحقق بغيته، وينال مراده، ومن هنا فرض احترامه على الجميع.

وتم اختيار الأمير مقرن بن عبدالعزيز وليا للعهد، والأمير محمد بن نايف بن عبدالعزيز وليا لولي العهد بصورة سلسة، تدعو للفخر والاعتزاز بهؤلاء القادة الكرام،كان ذلك بانسيابية خاصة لا يتقنها ولا يعرف خصائصها إلا أبناء هذا الوطن الكريم؛ ممثلة بقيادتهم الرشيدة أبناء الملك المؤسس رحمه الله، فسلاسة تتابع الحكم في هذه البلاد المباركة منهج سعودي خاص لا يحسنه الكثير من الزعماء في العالم، ولا الكثير من الدول؛ التي تعنى بالدساتير الإنسانية، ومناهج الحكم المختلفة فما أن يطغى حزب على حزب، أو حاكم على آخر حتى تهب بينهم حروب طاحنة لا هوادة فيها؛ تأكل أخضرهم ويابسهم، ويصبح أمنهم خوفا، وشبعهم جوعا وفاقة، ويمسي وطنهم أثرا بعد عين، وشرا بعد خير، وموطنا لكل إرهابي حاقد مجرم يقتل ويسبي ويسفك الدماء بلا رادع من دين، أو مسكة من عقل، أو وازع من ضمير.

فشكراً لك اللهم على أن جمعت كلمتنا، ووحدت صفنا، وكبت عدونا، وسويت أمرنا. رحم الله خادم الحرمين الشريفين الملك عبدالله بن عبدالعزيز، وجعل ما قدمه لأبناء شعبه في موازين حسناته، ورفع مقامه مع الأولياء الصالحين؛ الذين لا خوف عليهم ولا هم يحزنون، ووفق خادم الحرمين الشريفين الملك سلمان بن عبدالعزيز، وسمو ولي عهده الأمين، وسمو ولي العهد الأمين، وسدد خطاهم، وأعانهم لما فيه صلاح البلاد والعباد، يا رب العالمين.

وإن العين لتدمع، وإن القلب ليحزن، ولا نقول إلا ما يرضي ربنا، وإنا على فراقك يا سيدي (عبدالله) لمحزونون.

المصاب الجلل وبلسم الأمل

◆ عبدالله بن محمد بن سليمان اللحيدان(*)

الحمد لله الملك ذي العظمة والاقتدار {الَّذِي خَلَقَ الْمَوْتَ وَالْحَيَاةَ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلاً}، فجعل الموت في هذه الدنيا نهاية كل حي {كُلُّ نَفْسٍ ذَائِقَةُ الْمَوْتِ وَنَبْلُوكُمْ بِالشَّرِّ وَالْخَيْرِ فِتْنَةً وَإِلَيْنَا تُرْجَعُونَ}، وفي الحديث القدسي يقول الله: «ولا تردّدت عن شيء أنا فاعله تردّدي من قبض روح عبدي المؤمن؛ يكره الموت وأكره إساءته، ولا بد له منه».

هذه حقيقة لا بد أن تكون حاضرة لدى المسلم في كل حال وحين. وإن ما حدث من وفاة ملك هذه البلاد الراحل خادم الحرمين الشريفين الملك عبد الله بن عبد العزيز آل سعود - تغمده الله برحمته - لهو مصاب جلل، وفاجعة نحتسب أجرها عند الله - عز وجل -. وإنه مع فَدَاحة المصيبة، وعِظَم الفَجيعة، فلا يملك المسلم حيالها إلا الرضا والتسليم، والتذرُّع بالصبر والاحتساب، فلم يعرف التاريخ فاجعة أعظم من فَقْد المصطفى عليه الصلاة والسلام، وقد قال عليه الصلاة والسلام: «من عظمت مصيبته فليذكر مصيبته فيّ». والمسلم أمام مصاب الموت صابر محتسب. في الحديث يقول صلى الله عليه وسلم: «عجبًا لأمر المؤمن؛ إن أمره كله لعجب؛ إنْ أصابته ضرّاء صبر فكان خيرًا له، وإن أصابته سرّاء شكر فكان خيرًا له». وهو عند المصائب يرضى ويسلّم، ويتذكَّر قول الله {وَبَشِّرْ الصَّابِرِينَ الَّذِينَ إِذَا أَصَابَتْهُمْ مُصِيبَةٌ قَالُوا إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ أُوْلَئِكَ عَلَيْهِمْ صَلَوَاتٌ مِنْ رَبِّهِمْ وَرَحْمَةٌ وَأُوْلَئِكَ هُمُ الْمُهْتَدُونَ}. فلا جزع ولا اضطراب. وإن مما يهون المصاب أمور، منها ما نؤمله للفقيد الراحل مما سيجده من منزلة الشهداء، والإكرام من ذي الجلال والإكرام؛ فلقد قدم - رحمه الله وأسكنه فسيح الجنان - للإسلام والمسلمين من الأعمال الجليلة والمواقف النبيلة ما نسأل الله أن يعظم له الأجر عنها، من اهتمام بكل ما من شأنه رفعة شأن الدين وحماية جانبه، ومن اعتناء بحال المسلمين وتقديم ما يعينهم لمواجهة مشاق الحياة، ومن بذل ما يحفظ للوطن والمواطن عزه وكرامته، وييسر أمور حياته، ومن صد ومحاربة للفساد وطمس معالمه، وإعادة الحقوق، وتلمس حاجات الناس والاطلاع على أحوالهم عن كثب، والاهتمام بما يكفل إعطاء كل ذي حق حقه بيسر وسهولة، فاعتنى - رحمه الله - بأهم مرفق يحقق ذلك، وهو القضاء بشرع الله، ودعم جهازه وكوادره بما ينجز أهدافه، وكذا لقيت المساجد والدعوة إلى الله وإيصال الحق والعلم الشريف للناس اهتماماً منه - رحمه الله - ما جعلنا نعيش فترة ازدهار للخير، تواصلت مع عهود السابقين من ولاة الأمر - رحمهم الله جميعاً -. وكذا من فضل الله علينا أن أعان وهيأ ما يسهل به المصاب وإن عظم، من قيام من يقوم بولاية الأمر بعد رحيل السلف، فها نحن نعيش لننعم بانتقال للولاية محكم من تمكين الله لهذه الدولة المباركة بتولي خادم الحرمين الشريفين الملك سلمان بن عبد العزيز مقاليد الحكم في هذه البلاد المباركة، يسانده ولي عهده الأمين صاحب السمو الملكي الأمير مقرن بن عبد العزيز وولي ولي العهد صاحب السمو الملكي الأمير محمد بن نايف بن عبدالعزيز - حفظهم الله جميعاً -. ولقد أقر الله عيوننا بهذا التمكين وما تم لهم من بيعة شرعية تستقر بعقدها الأمور، ويحفظ الدين والأعراض والأموال والأنفس. ولقد اطمأنت نفوس المؤمنين ودحر الله كيد المسرفين بما انعقد للملك وولي عهده وولي ولي عهده - حفظهم الله - من مبايعة أهل الحل والعقد وعامة الناس لهم بقلوبهم قبل أن تبايع أيديهم على ما بايع عليه رسول الهدى صلى الله عليه وسلم أصحابه رضوان الله عليهم، كما في حديث عبادة رضي الله عنه: «بايعنا رسول الله على السمع والطاعة في عُسْرنا ويُسْرنا، ومَنْشَطِنا ومَكْرَهِنا، وأَثَرَة علينا، وأن لا نُنازِعَ الأمر أهله». وإننا على مثل هذا نبايع ملك هذه البلاد خادم الحرمين الشريفين سلمان بن عبدالعزيز وولي عهده مقرن بن عبدالعزيز، نسأل الله أن يوفقهما لما يحب ويرضى، وأن يُعز بهما الإسلام، وينصر بهما الحق والمعروف في كل مكان، وأن يجعل هذا العهد عهد خير وبركة وعزة ورفعة لكتاب الله وسُنة رسوله ولعباده الصالحين، وأن يتغمد الفقيد عبدالله بن عبدالعزيز برحمته، وأن يجزل له أجر ما قدم لأمته.

وصلى الله وبارك وسلم على النبي الأمين، وخلفائه الراشدين، وآله وأصحابه أجمعين. والحمد لله رب العالمين.

(*) المدير العام لفرع وزارة الشؤون الإسلامية والأوقاف والدعوة والإرشاد بالمنطقة الشرقية

حسن اليمني

إلى رحمة من اللّه وغفران أيها الملك عبد اللّه

لقد كانت السنوات التي أمضاها خادم الحرمين الشريفين الملك عبدالله بن عبدالعزيز على سدّة الحكم حافلة ومتزاحمة بالإنجازات، وقد انتقلت المملكة العربية السعودية بكل مدنها وقراها وهجرها وحتى صحاريها انتقلت خطوات بعيدة نحو المستقبل ويوازي ذلك نقلة نوعية للإنسان في هذا الوطن (مواطن ومقيم) نحو آفاق عالية من الوعي والعلم والمعرفة مع مزيد من الرفاه والأمان وحماية الحقوق، وكل هذا ويوازي هذا وذاك نقلة متقدمة للغاية في إعادة وتطوير النظم والإجراءات وإصلاحات في أهم المؤسسات كالقضاء والصحة والتعليم وخدمات الإسكان وإعانة النشاط الفردي وإبراز الأخطاء والنواقص في خطط التنمية السابقة تمهيدا لمعالجتها، وليس هذا وحسب رغم شموله واتساعه بل اهتم بالعقل والوعي ومواكبة التحضر في العالم من خلال إتاحة أكبر مساحة لحرية الرأي في وسائل الإعلام ونشر الكتب وإثراء الثقافة العامة.

رحل خادم الحرمين الشريفين الملك عبدالله بن عبدالعزيز آل سعود والوطن في أوج نشاط التطور والتقدم إلى درجة لا تكاد ترى مدينة أو قرية أو هجرة أو صحراء إلا وقد غصت بالمشاريع وكأنما صار الوطن من أطرافه إلى أطرافه في ورشة بناء مستمرة، ومن الصعب على سطور محدودة أن تفي وتحصي ما يتوجب ذكره إلا أن الوطن في عهد الملك الراحل تغير بشكل جذري في كل الاتجاهات، فقد كانت الرؤية والأهداف واضحة في ذهنه رحمه الله وكانت العزيمة والإصرار على التطوير والإصلاح بمثابة الإيمان الراسخ الصادق المخلص، بادله الشعب بالحب إلى درجة يمكن أن ينظر لها المتابعون كظاهرة فريدة تستحق التأمل والتفكير.

كان رحمه الله قوياً أميناً جريئاً محنكاً صادقاً مخلصاً في كل خطوة يخطوها، وكان ينظر في كل أمر بمنظاره وأبعاده الحقيقية فتارة يكون القرار التدريجي ذا الخطوات المحسوبة وتارة يكون القرار مفاجئاً وصادم ليحدث الأثر المطلوب، لم يكن يحابي ولا يواري في سبيل تحقيق المصالح العليا للوطن، وقد كانت (كائن من كان) ميزة وعلامة مسجلة لعهده رحمه الله، فالقرار لم يستثن أحداً على حساب أحد وكانت الوجهة دوماً نحو المصلحة العامة أولاً وأخيراً، ولعل أهم وأقوى المسارات التي سار في اتجاهها رحمه الله التأسيس نحو الجيل الثالث من أحفاد المؤسس تأميناً لاستمرار واستقرار مسار الوطن كله بأمن وسلاسة شهدنا أولى ثمارها في مبايعة خادم الحرمين الشريفين الملك سلمان بن عبدالعزيز وولي عهده صاحب السمو الملكي الأمير مقرن بن عبدالعزيز بصورة ما زالت تذهل العالم المراقب والمتابع منذ وفاة الملك المؤسس عبدالعزيز بن عبدالرحمن آل سعود رحمه الله.

إن عهداً لم يتجاوز التسع السنوات كان غنياً وثرياً بالإنجازات التاريخية التي لن تنسى أبداً لمليكنا الراحل، فقد انتقلت فيه بلادنا من مرحلة إلى مرحلة أخرى متقدمة ومتطورة بشكل يكاد يكون إعجازياً، مستثمرا موارد الوطن التي حباها الله سبحانه وتعالى لتغص البلاد بالمشاريع وصناديق الادخار بالمال المحفوظ لتقلبات الزمن ليمضي خادم الحرمين الشريفين الملك عبدالله بن عبدالعزيز إلى مثواه الأخير مطمئناً تصاحبه دعوات مواطنيه بكل صدق تدعو له بالمغفرة والرحمة وأن يجزيه الله خير الجزاء على ماقدم، ولا نقول إلا ما يرضي الله.

﴿إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعونَ﴾.